مجلة مقاربات في التعليمية مجلد: 01/ العدد:01/ جوان:2018
ص:10- 19. Issn :2602-5965

قراءة في كتاب " منهجية البحث العلمي وفق نظام LMD" لمحمد خان

* ط/د. فاطمة الزهراء حمديس
البريد الإلكتروني:fatimahamdis04@outlook.fr
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءة ومناهجها كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة.

الملخص:

إن الحديث عن فعالية المنهج العلمي وفق نظام "ل م د" يدفعنا إلى الحديث عن الجهود المبذولة من جانب الأطراف الفاعلة . طلبة وهيئة تدريس . في مواكبة هذا التطور الحاصل في مجال البحث العلمي؛ ولعل هذا ما دفع "محمد خان" إلى إصدار كتاب:" منهجية البحث العلمي وفق نظام LMD " فمن هو محمد خان؟ وماهي المساهمة التي أضافها في الرؤية المستحدثة للتعليم العالي؟

Abstract :

A discussion of the effectivness of the scientific methode in the LMD system would lead us to talk about students-teachers exertive efforts to keep up with this development in the field of the scientific research and perhaps this which prompted Mohamed KHAN to publish a book entitled The Scientific Research Methodology in LMD system. So who is Mohamed KHAN? What new envisioning contributions did he make in the higher education?

* المؤلف المرسل.

1. تعريف الكاتب "محمد خان":

هو أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر بسكرة . شغل منصب عميد كلية الآداب واللغات سابقا، ترأّس مخبر أبحاث في اللسانيات واللغة العربية، تخرّج مُجازا في الأدب العربي من جامعة عنابة سنة 1980، ليتحصل على شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية سنة 1986 وكانت أول رسالة تناقش في العلوم الإنسانية بجامعة عنابة، كما تحصّل على شهادة دكتوراه دولة في علوم اللسان العربي سنة 1997 من جامعة الجزائر.

ومن تحريراته عدة مجموعات: القراءات القرآنية واللهجات العربية، الصادر في القاهرة سنة 2002.وكتاب:" مدخل إلى أصول النحو العربي، الجزائر 2003، كتاب: "لغة القرآن الكريم، دراسة لسانية للجملة في سورة البقرة، الجزائر 2004، إضافة إلى كتاب: " الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى . دراسة لسانية للغة منطقة الزيبان بسكرة الجزائر2005[1].

2. تعريف الكتاب:

من أهم أعماله إنتاجه كتاب هو موضوع هذه الدراسة "منهجية البحث العلمي وفق نظام LMD" كتاب من الحجم المتوسط عدد صفحاته 121 صفحة ويوزّع مجانا على الطلبة، صدرت الطبعة الأولى له سنة 2011 عن دار علي زيد منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري بجامعة محمد خيضر، قسّمه الأستاذ "محمد خان" إلى خمسة فصول، مسبوقة بمقدمة تتحدث عن المنهجية العلمية والتعليم الجامعي ، تشتمل على العناصر الواجب ذكرها في المقدمة حسب الشروط المنهجية التي تعارف عليها المنهجيون، ومتلّوة بخاتمة تتضمن بعض النصائح والتوجيهات التي تعين الطالب الباحث بصفة عامة لا طالب نظام LMD على وجه أخص . في انجاز بحث جيد ، ثم مردفة بملحق في قواعد الكتابة العربية جمع فيه أشهر الكلمات العربية التي لها إجراء إملائي خاص، وما يخرج عن القواعد العامة من مثل ما يُلفظ ولا يكتب كالألف في لكن وابن، وحذف اللام في الّذي والّتي والّذين ، وما يُكتب ولا يُلفظ كالواو التي تُزاد في "عمرو" والألف التي تُزاد في "مائة"...كما تطرق إلى (ما) الحرفية و(ما ، ومن) الاستفهامية، و(إن) الشرطية ومواضع (إن) المكسورة، و(أن) المصدرية الناصبة ، ولم يُغفل الحديث عن همزة القطع وسط وآخر الكلمة وهمزة الوصل ،وبحكم تجربته وخبرته الطويلة في الميدان تفطّن إلى الأخطاء الكثيرة التي قد تصادف الباحث في كتابة بحثه من مثل

كتابة العدد والمعدود، الضاد والظاء... معتمدا في بحثه على ترسانة معرفية أشار إليها في إشادة بفضل سابقيه في المجال؛ مصادر ومراجع ذلّلت ويسّرت الإحاطة بمختلف عناصر البحث وإن كثرت كتب المنهجية وتنوعت عبر مراحل زمنية متعاقبة وبيئات مختلفة.

1.2 مفهوم المنهج:

المنهج بوجه عام كما ذهب الدكتور "محمد خان" في الفصل الأول من كتابه نظام من الآليات يستخدمها الإنسان؛ ليصل إلى غاية يروم بلوغها. ولا شك في أن الإنسان قد عرف المنهج منذ قديم الزمان بفضل عقله المفكر، وتجاربه الكثيرة، وخبراته المتراكمة بحيث استخدمه لإشباع حاجاته، وتوسل به لتمكينه من السيطرة على الطبيعة، وتسخير كل ما فيها لفائدته.

يتطور المنهج مع مرور الزمن بسبب تراكم التجارب، وادخار الخبرات، فينقلها الخلف عن السلف، وبذلك وفر الإنسان على نفسه كثيرا من الجهد والعناء. وما الحضارات الإنسانية المتعاقبة إلا أكبر شاهد على ذلك.

فلفظ "منهج" ترجمة للكلمة الفرنسية ونظائرها في اللغات الأوربية الأخرى. وكلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية méthodos ، وهي كلمة نرى أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما نجدها كذلك عند أرسطو أحيانا كثيرة بمعنى "بحث"[2] وتتألف من مقطعين" هما meta بمعنى بعد وhodos بمعنى طريق والذي يدل من الناحية الاشتقاقية على معنى التزام الطريق أو السير تبعا لطريق محدد، وهي نفس الدلالة الاشتقاقية التي تدل عليها الكلمة العربية"[3] وتتوالى العصور، وكلمة منهج Méthode بمعنى البحث أو المعرفة، ويصير لكل فيلسوف منهجه بدءا من الإغريق، ومرورا بمن جاء بعدهم، وانتهاء بحضوره في عالمنا المعاصر، بحيث صار لازما لكل عمل يقوم به الإنسان، ولا يجادل أحد في ذلك.

وفي القرن السادس عشر 16 ظهر الفيلسوفان: Bacan فرانسيس بيكون الانجليزي(1561.1626) وDescartes ديكارت الفرنسي (1596.1650) اللذان كرسا جزءا كبيرا من أعمالهما من أجل تثبيت دعائم المنهج، ومن حينها شاع المنهج الاستدلالي في الرياضيات، والتجريبي في الطبيعيات، والشكي في الإنسانيات، وبذلك أحرز المنهج مكانة عالية في ميدان العلوم والمعارف، حتى قيل: يعدل الإنسان عن طلب الحقيقة إذا كان سعيه من دون منهج.

وللـفيلسوف الألماني Kant كانط (1724ـ1804) مكانته المتميزة في علم المنهج Méthodologie الذي يعتبر ضروريا لـدراسـة مختلف العلـوم والمعارف [4].

وقد حاول الدكتور "محمد خان" تحديد مفاهيم مصطلحات الكتاب الواردة في العنوان من الناحية اللغوية والاصطلاحية في الفصل الأول منه فالمنهج لغة هو الطريق قال تعالى:﴿ ولكلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً﴾[5] .

والمنهاج كالمنهج بمعنى واحد، وهو الطريق الواضح.

وقال الخليل (ت175هـ): نَهَج الأمرَ، وأنهج: لغتان، أي وضح والمنهاج الطريق الواضح [6] وقال ابن منظور (ت711هـ): أنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجا واضحا بيّنا. والمنهاج: الطريق الواضح [7].

والملاحظ في مختلف تعريفات المعاجم اللغوية معجم مقاييس اللغة، المعجم الوسيط.... اتفاقها على أن المنهج هو الطريق الواضح الذي يتّبعه الإنسان للوصول إلى غاية ما.

أما اصطلاحا فالمنهج خُطة يسير عليها الباحث بدءا من التفكير في موضوع البحث حتى ينتهي من إنجازه.

فهو " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة، وذلك عن طريق جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة ومعلومة [8] فالمنهج هو الخطة التي اتبعها مؤلف الكتاب في علاج القضية التي اختارها موضوعا لبحثه، وقيامها على أساس من المنطق، أو من الاستقراء، أو منهما معا، كما يراد بها استعمال المادة وتحليلها، ومناقشتها، وتقويمها، ونقدها، وإعمال الرأي فيها، واستخلاص النتائج منها وفق ما أورده الكاتب.

وأضاف، وتختلف مناهج البحث باختلاف الظواهر المطروحة للبحث والدراسة، فما يصلح لظاهرة قد لا يصلح لظاهرة أخرى، ومنها: المنهج الوصفي، والتاريخي، وأسلوب المسح، ودراسة الحالة...إلخ.

ومحصّلة القول أن المنهج طريق واضح يسلكه الباحث، أو قواعد معروفة أكاديمياّ، يسير الباحث على هداها حتى لا يضل الطريق، ولا يزيغ عن الهدف، ولا تقصر همّته عن الغاية المأمولة.

2.2 مفهوم البحث:

أما مصطلح البحث الذّي اقترن بالمصطلح السابق فله عدة تعاريف في مقدمتها أنه" مجموعة من القواعد العامة المستخدمة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على مسير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[9].

إنه المحاولة الجادّة، الناقدة الدقيقة من أجل التوصل إلى معرفة الحقيقة التي يوظّفها الإنسان في مدارج تطوره الحضاري.

جاء في كتاب العين: البحثُ طلبك شيئا في التراب، وسؤالك مُستَخبِرًا ، تقول: أَستَبحِثُ عنه، ويبحثُ بحثًا"[10] قال تعالى:﴿ فبعث الله غُرابًا يبحثُ في الأرض﴾[11] هذا من ناحية لغوية، وعرّفه "علي جواد الطاهر بقوله:" البحثُ طلبُ الحقيقة وتقصيها، وإذاعتها في الناس"[12] والبحث من منظور علمي" استعلام دراسي جدي ، أو اختبار، وخاصة عن طريق التحري والتنقيب والتجريب، الذي يكون غرضه اكتشاف حقائق جديدة، أو تفسيرها، أو مراجعة النظريات والقوانين المتداولة والمقبولة في المجتمع، وذلك بضوء حقائق جديدة أو تطبيقات علمية لنظريات وقوانين مستحدثة أو معدلة"[13] وبسّط تعريفه أحمد شلبي، فقال:" البحث أو الرسالة تقرير واف، يقدّمه باحث عن عمل، تعهّده وأتمّه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة، منذ أن كانت فكرة، حتى صارت نتائج مدّونة، مرتّبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد"[14].

يعد البحث العلمي اليوم مطلبا إنسانيا للتقدم والتطور الحضاري.

3.2 مفهوم العلم:

إن إسناد العلم للبحث يقتضي بالضرورة تفسير الكلمة التي عرّفها قاموس "ويستر" الجديد بأنها " المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس ما تم دراسته أما قاموس أوكسفورد فيعرف العلم بأنه الإدراك الذي يستحصل بواسطة الدراسة التي لها علاقة بنوع من أنواع المعرفة"[15] نستطيع القول أن العلم معرفة الشيء، وهو ضد الجهل. ومن صفات الله، عزّ وجلّ العالِم والعليم والعلاّم... وقد أحاط علمه بجميع الأشياء.

قال تعالى:﴿ هل اتَّبعك على أن تُعلّمني ممّا عُلّمت رُشدًا﴾[16] يقال، أعلمتُه بكذا، أي: أشعَرته، وعلَّمته تعليما [17] فالعلم" جهد إنساني عقلي منظّم وفق منهج محدّد في البحث، يشتمل على خطوات وطرائق محدّدة، ويؤدي إلى معرفة عن الكون والنفس والمجتمع، يمكن توظيفها في تطوير أنماط الحياة، وحلّ مشكلاتها"[18] .

وهدف العلم ووظيفته هو الكشف عن حقائق الوجود، ونواميس الكون، وتمكين الإنسان من تفسير الأحداث والظواهر، ليتمكن من السيطرة عليها، والتكيف معها، فيتحقق أمنه وسعادته كما قال صاحب الكتاب الذي أتبع المفاهيم الواردة في العنوان بأنواع البحوث في نظام LMD كالتفاته تستقطب الباحث والمهتم بالنظام المستحدث.

3. مخرجات الباحث وفق نظام ل م د:

البحوث الجامعية أنواع، تختلف مادة وحجما وأهمية، وذلك بحسب الغرض الذي تطلب من أجله، والمرحلة الجامعية التي يكون فيها الطالب، وقد حدّدت الجامعات في العالم أنواع البحوث التي تنجز فيها، وشرّعت القوانين التي تنظمها، وكانت الجزائر في السنوات الأخيرة قد شرعت جامعاتها في تطبيق نظام LMD الذي يُترجم إلى مراحل زمنية هي ليسانس كشهادة تكلل جهودا دراسية لمدة ثلاث سنوات، وماستر سنتين، ودكتوراه لثلاث سنوات.

يكلّف في المرحلة الأولى الطلبة ببحوث بسيطة (قضايا جزئية). تهدف إلى إطلاع الطالب على المادة العلمية التي تُسهم في تكوينه، فتدفعه إلى قراءات خارجية تدعم معارفه، ولذلك يجب على الطالب أن يجتهد في التحصيل العلمي، ويحاول أن يبرز قدراته، وما يتميز به من موهبة، وطموح وصبر واستعداد لإنجاز البحوث العلمية تمهيدا للمرحلة الموالية من الدراسة الجامعية.

ثم أتى الكاتب على ذكر مرحلة ماستر (أكاديمية) وتبدأ بعد الانتهاء من المرحلة السابقة، ويلتحق بها الطلبة الذين حصلوا على شهادة ليسانس بمقتضى شروط معينة، تضبطها الجامعة أو الوزارة بقوانين علمية بحيث تمكن الطلبة المتفوقين من مواصلة الدراسة في هذه المرحلة.

تعدّ هذه بداية التخصص الفعلي، الذي يستمر مدة 4 أربعة سداسيات، تختم في السداسي الأخير ببحث أو مذكرة ينجزها الطالب (الباحث) بإشراف أستاذ مؤهل، وذلك بعد موافقة الهيئة العلمية (اللجنة العلمية ـ المجلس العلمي)، وتسجيله رسميا في الإدارة، إذ إنجاز مذكرة الماستر يتم بالاتفاق مع الأستاذ المشرف الذي يتابع جميع مراحل البحث، ويوجّهه منهجيّا وعلميّا، ويراجع مذكرته مراجعة تقويمية، ويصوّب أخطاءها، فإذا بلغت المستوى المرغوب، يأذن له بطبعها، وتقديمها إلى الإدارة المعنية التي تقوم بالإجراءات القانونية من أجل مناقشتها أمام لجنة من الأساتذة الذين يقومونها مادة ومنهجا، وما أضافته إلى مكتبة البحث الجامعي عمومًا.

على غرار المرحلتين السابقتين بعد الحديث عن طريقة وصفة البحوث المقدمة ينتقل المؤلف إلى الحديث عن مرحلة الدكتوراه التي يلتحق بها الحاصلون على شهادة ماستر وفق إجراءات تحدّدها الوزارة أو الجامعة بقوانين تنظيمية تمكن الطلبة المتميزين علميّا من مواصلة الدراسة في هذه المرحلة إذ يكلّف الطلبة بإعداد محاضرات يلقونها أمام زملائهم وتحت توجيه أساتذتهم المشرفين، بحيث تمكنهم من التدريب العلمي.

ويجب أن يقوم الطالب الباحث باختيار موضوع لرسالة دكتوراه، ويعرضه على الأستاذ المشرف، الذي يوافق عليه. ثم يقدّم إلى الهيئة العلمية فتوافق عليه، ويسجّل رسميّا على مستوى الإدارة.

يعدّ الطالب الباحث رسالة دكتوراه برعاية أستاذه المشرف الذي يتابعه بدقة ويوجّهه علميّا ومنهجيّا، ويقوّمه أكاديميا. فإذا أَنِس من مستواه المقبول، وإنجازه الجيد، يأذن له بطبع الرسالة، وتقديمها إلى الإدارة التي تقوم بالإجراءات الضرورية من أجل مناقشتها علنا بحضور جمهور من الأساتذة والطلبة. أمام لجنة من الأساتذة الذين يقوّمونها مادة ومنهجًا، وما أضافته إلى الثقافة الإنسانية.

ويُجمل المؤلف هذه الإضافة في مجموعة من النقاط كالآتي:

1. بحث مبتكر أو اكتشاف غير مسبوق، أو تطبيق منهج...
2. استنباط طريقة جديدة في معالجة موضوع ما.
3. إحياء موضوع قديم، أو تحقيقه تحقيقا علميا.

4. فهم جديد للماضي، أو بعث جديد للحاضر.
5. تصحيح أخطاء، يعتقد الناس صوابها أو العكس.

ويطنب المؤلف في تفسيره لأعلى الشهادات الجامعية "شهادة الدكتوراه" التي وجبت فيها الدقة في شكلها ومضمونها، والموضوعية في طرح القضايا التي تعالجها، والأمانة في نقل آراء الآخرين، وكل ذلك وفق منهج واضح، ولغة سليمة، وأسلوب علمي دقيق.

فلا تقاس جودة الرسالة بحجمها، إنما تقاس جودتها في استيفاء الموضوع حقه من البحث والمناقشة والمعالجة، وتحديد جميع جوانبه بجرأة وروية، واستخلاص واضح لنتائج علمية ذات فائدة للإنسان، يمكن أن يجعلها منطلقا لأبحاثه في المستقبل.

لينتقل بعدها المؤلف إلى الحديث عن الباحث بصفة عامة في فصل عنونه بالباحث وصفاته من رغبة واطلاع وصبر وشك وأمانة وشجاعة وموضوعية وتنظيم ولغة وأسلوب وهي صفات يشترك فيها الباحث العلمي والأدبي باحث نظام ل م د أو النظام القديم مع تفاوت في الالتزام بما سبق ذكره عند كل باحث، وإن كان ولا بد أن تتوافر بعض الصفات الهامة.

وخصص الفصل الثالث المعنون بالبحث وشروطه لطرح قضية اختيار موضوع البحث، والشروط الواجب توافرها فيه والتي يمكن حصرها في الدقة، الجدة، القيمة، ووفرة المصادر والمراجع إلى جانب عرض خطوات مشروع البحث الذي لا يخلو من مقدمة وأقسام البحث وخاتمة ومجموع المصادر والمراجع المحتملة.

أما الفصل الرابع فيتعلق بالكتابة العربية من حيث نشأتها وتطورها عبر العصور واغتنم المؤلف الفرصة للإشارة إلى ضرورة استعمال علامات الترقيم، والالتزام بأماكن استخدامها.

وفي الفصل الخامس المعنون بجمع المعلومات وتحرير البحث حاول المؤلف إرشاد الطالب الباحث إلى أسهل الطرق في جمع المعلومات كإعداد بطاقة البيبلوغرافيا وبطاقة المعلومات، وكيفية تحرير المسودة والمبيضة، وطبع البحث، ومناقشته.

وفي الأخير يمكن القول أن "محمد خان" بمبادرته في تأليف هذا الكتاب استطاع أن يقدم صورة لمنهجية البحث العلمي وفق النظامين القديم و ل م د، وبذلك بسّط البحث للطالب، ويكفينا فخرا أنه سعى إلى نشر الكاتب على أوسع نطاق مجانا وإن كان وككل بحث لا يخلو من الهفوات المنهجية التي لاحظناها في كتابة اسم مؤلف المرجع حينا والإحجام

عن كتابته والاكتفاء بذكر المرجع حينا آخر، وبعض الاختلافات شدّنا إليها كون الكتاب في المنهج العلمي ويمكن إدراجها تحت عباءة المنهجية منهجيات.

الهوامش:

1. محمد خان، منهجية البحث العلمي وفق نظام LMD، دار علي بن زيد، بسكرة، الجزائر، ط1، 2011.
2. يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، مصر، دط، 1997، ص17.
3. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص19 وما بعدها.
4. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص19 وما بعدها.
5. سورة المائدة، الآية 48.
6. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيب، مؤسسة الميلاد، تيزهوش، إيران، ط1، 1414هـ، مادة (نهج)، ج3، ص1845. نقلا عن: محمد خان منهجية البحث العلمي، ص14.
7. جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1972، مادة (نهج)، ج2، ص957.
8. عامر إراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلمية، عمان، ط1،1999، ص31.
9. المرجع نفسه ص 31.
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، مادة (بحث)، ج1، ص134.
11. سورة المائدة، الآية 31.
12. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص27.
13. عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، ص31.
14. أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط20، دت، ص13.
15. عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، ص30.
16. سورة الكهف، الآية 66.
17. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، مادة(علم)، ج2، ص1274.
18. عودة أحمد سليمان، أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، مكتب الكتاني، عمان، ط2، 1922، ص5.